



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (4 – 12)

بقلم: رائف محمد الويشي

20 أبريل 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أننا نعانى - كشعوب إسلامية - من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا - رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم - هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا مع الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الشأن ..

في الحلقة الثانية قدمنا أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

في الحلقة الثالثة واصلنا ذكر أسماء أخرى من فريق الطلقاء بالشجرة الملعونة في القرآن ، ولاحظنا تشابههم في السفاح والرذيلة ، واتفاقهم على كراهيتهم الشديدة لنبي الإسلام..

في الحلقة الرابعة اليوم سنواصل الحديث عن أبناء الطلقاء في الشجرة الملعونة في القرآن ، وسنذكر أحد أهم أبناء طلقاء بني أمية ، وهو الداھية معاوية الذي أسس للملك العضوض ..

الوليد بن عقبة

هو الوليد ابن عقبة بن أبي معيط (أبان) ابن أبي عمرو (ذكوان) بن أمية ابن عبد شمس ، وهو شقيق عثمان بن عفان من أمه (أروى بنت كريبز) ..
أسلم يوم فتح مكة مضطراً مع أبي سفيان وزمرته ، وقد ذكرنا في ترجمة أبيه أن جده ذكوان قد ولد سفاحاً من أم يهودية من صفورية من أمية عندما زار الشام ، كما ذكرنا أن أباه عقبة قد قتل كافراً يوم بدر على يد علي بن أبي طالب ..

ذكر أبو داود - توفي في عام 275 هـ - في سننه (كتاب الترجل باب في الخلق للرجال) ، وابن حجر العسقلاني - توفي في عام 852 هـ - في الإصابة في تمييز الصحابة (ج 5 ص 415) عن الوليد ابن عقبة ما يلي :
" لما افتتح رسول الله (ص) مكة ، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم ، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة ، فأتى بي إليه وأنا مخلوق فلم يمسنني من أجل الخلق " ..

ذكر المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 1 ص 336) عن الوليد بن عقبة ما يلي :
" وكان الوليد يهودياً من الشام وينتمي إلى بني أمية بالانتساب ، وهو من طغاة مكة المحاربين للإسلام بقوة سائراً على منهج أبيه عقبة بن أبي معيط .. وقال عقيل بن أبي طالب للوليد: " إنك لتتكلم يا بن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت ، وأنت عالج من أهل صفورية " ، وهي قرية بين عكا واللجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية كان ذكوان أبوه يهودياً منها " ..

آيات الله في الوليد بن عقبة :

1- قال الله تعالى في سورة الحجرات آية رقم 6 ما يلي : " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبوا على ما فعلتم نادمين " ..

قال ابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في تفسيره (ج 4 ص 208) في أسباب نزول هذه الآية ما يلي :
" أن رسول الله بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ، فعاد فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة وكانوا خرجوا يتلقونه وعليهم السلاح ، فظن أنهم خرجوا يقاتلون فرجع فبعث إليهم رسول الله (ص) خالد بن الوليد فأخبره بأنهم على الإسلام فنزلت هذه الآية .. ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة " ..

2- قال الله تعالى في سورة السجدة آيات رقم 18 / 20 ما يلي :
" أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستونون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوي نزلا بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون " ..

قال الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تفسيره (ج 11 ص 107) ، وأبو الفرج الأصفهاني - توفي في عام 356 هـ - في الأغاني (ج 5 ص 135) ، ومحب الدين الطبري - توفي في عام 694 هـ - في الرياض النضرة (ج 3 ص 156) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :
" كان بين الوليد وعلي كلام ، فقال الوليد: أنا أبسط منك لسانا ، وأحد منك سنانا ، وأرد منك للكتيبة ، فقال علي : " أسكت فإنك فاسق " ، فأنزل الله فيهما: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا " ..

ذكر سبط ابن الجوزي الحنفي - توفي في عام 654 هـ - في تذكرة الخواص (ص 202) ، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب (ص 141) أن الصحابي حسان ابن ثابت أنشد في تلك المناسبة فقال ما يلي :
أنزل الله والكتاب عزيز * في علي وفي الوليد قرانا
فتبوا الوليد من ذلك فسقا * وعلي مبرأ إيمانا
ليس من كان مؤمنا عرف الله * كمن كان فاسقا خوانا
فعلي يلقي لدى الله عزا * ووليد يلقي هناك هوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل * وعلي إلى الحساب عيانا
سوف يجزى الوليد خزيا ونارا * وعلي لا شك يجزى جنانا
رب جد لعقبة بن أبان * لابس في بلادنا تباناً

(ملاحظة : الكنجي هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي المقتول سنة 658 هـ ، بسبب روايته أخبارا لمناب أمير المؤمنين علي (ع) في جامع دمشق ، وكان حافظاً للحديث ، راوياً للأخبار ، مطلعاً في العلوم ، وقد اعترف بمقامه العلمي مترجموه ذاكرين السبب في مقتله متبجحين بذلك ، أنظر حوادث السنة المذكورة من تاريخ ابن كثير والنجوم الزاهرة وغيرهما من المصادر ، وقد قتل لنفس الأسباب الإمام النسائي ، وكاد الطبري والحاكم أن يلقي نفس المصير لذات السبب) ..

الوليد ابن عقبة يعصى أوامر النبي (ص) عدة مرات فيدعو النبي عليه :
قال أبو فرج الأصفهاني - توفي في عام 356 هـ - في الأغاني (ج 4 ص 183) ، وابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 17 ص 240) عن الإمام علي (ع) أنه قال ما يلي :
" أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشتكي إليه الوليد، وقالت: إنه يضربها، فقال لها : " ارجعي إليه وقولي له : إن رسول الله قد أجازني " ، فانطلقت ، فمكث ساعة ، ثم رجعت فقالت: إنه ما أقطع عني ، فقطع رسول الله (ص) هدبة من ثوبه وقال : " اذهبي بها إليه وقولي له " إن رسول الله قد أجازني " ، فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : ما زادني إلا ضربا ، فرفع رسول الله (ص) يده ثم قال: اللهم عليك بالوليد مرتين أو ثلاثا " ..

الخليفة عثمان يسند للوليد ولاية الكوفة رغم فسقه !

كما هي عادة الخليفة عثمان مع أقاربه ، اسند للوليد بن عقبة الفاسق ولاية الكوفة بعد عزل سعد ابن أبي وقاص منها ، وحينها قال له سعد " أراكم ستجعلونها ملكا " ، وفي الكوفة شرب الوالي الوليد بن عقبة الخمر وصلّى بالناس الفجر أربع ركعات ورائحة الخمر تفوح منه ، ولما أتى الشهود إلى عثمان في المدينة ضربهم بدلا من إقامة الحد على أخيه ، فثار الإمام علي (ع) وقال له : " عطلت الحدود وضربت قوما شهدوا على أخيك " ، كما ثارت عليه أيضا لنفس الغرض وأم المؤمنين عائشة ..

قال أبو فرج الأصفهاني في الأغاني (ج 5 ص 139) عن أبي عبيد الكلبى والأصمعى أنهما قالوا ما يلي :
" أن الوليد بن عقبة كان زانيا شريب خمر فشرب الخمر، بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقياً في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:
علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا " ..

قال ابن عبد البر – توفى في عام 463 هـ - في الاستيعاب بهامش الإصابة (ج 3 ص 633) ما يلي :
" أخباره - الوليد - في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي مشهورة كثيرة .. وله أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله كذلك " ..

أخرج البلاذري – توفى في عام 297 هـ - في انساب الأشراف من طريق بن سعد (صاحب الطبقات الكبرى) ، بالإسناد عن أبي إسحاق الهمداني ما يلي :
" أن الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلى بالناس الغداة ركعتين ، ثم التفت فقال : أزيدكم ؟ فقالوا : لا قد قضينا صلاتنا ، ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكران .
قال أبو إسحاق : وأخبرني مسروق انه حين صلى لم يرم حتى قاء ، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر : أبو زينب ، وجندب بن زهير ، وأبو حبيبة الغفاري ، والصعب بن جثامة ، فأخبروا عثمان خبره ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ماله ؟ أجَنَّ ؟ قالوا : لا ، ولكنه سكر ، قال : فأوعدهم عثمان وتهدهم ، وقال لجندب : أنت رأيت أخي يشرب الخمر ؟ قال . معاذ الله ، ولكني أشهد إنني رأيت سكران يقلسها من جوفه ، وإنني أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل .
وقال الواقدي : وقد يقال : إن عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً ، فأتوا علياً فشكوا ذلك إليه ، فأتى عثمان فقال : " عطلت الحدود وضربت الشهود " ..

ذكر المسعودي – توفى في عام 346 هـ في مروج الذهب (ج 1 ص 437 / 438) ما يلي :
" الوليد هذا أخو عثمان بن عفان لأمه ومن جملة ما نَقَمَوه على عثمان ما فعله الوليد في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جهة بابل يقال له زرارة أنه يعمل أنواعا من السحر والخيالات وأنواع الشعوذية يعرف بنظروي ، فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس يركض في صحن المسجد ، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل ، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه وخرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل وفرق بين جسمه ورأسه ، ثم أمر بالسيف عليه فقام الرجل ، وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من السحر والتخييل فاخترط بسيفه وضرب به اليهودي طار رأسه ناحية وجنته ناحية، وقال: (جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا) ، وقيل: إن ذلك كان نهارا أو أن جندبا خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب عنق اليهودي وقال: إن كنت صادقا في نفسك [فأحي نفسك]، فأنكر ذلك الوليد عليه وأراد أن يقتله ، فمنعه الأزدي ، فحبسه ، وأراد قتله غيلة فنظر السجن إلى قيامه ليله إلى الصبح ، فقال له :انج بنفسك ، فقال جندب : تقتل بي ؟ فقال : ليس ذلك بكبير أمر من مرضاة الله والدفع عن ولي من أوليائه، فلما أصبح الوليد دعا به واستعد لقتله فلم يجده فسأل السجن عنه فأخبره بهربه ، فضرب عنق السجن وصلبه بين الكناس " ..

الخليفة عثمان يعطى الوليد بسخاء من مال المسلمين :

قال البلاذري – توفى في عام 297 هـ - في انساب الأشراف (ج 5 ص 30) ما يلي :
" لما قدم الوليد الكوفة ألقى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالا وقد كانت الولاية تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ ، فأقرضه عبد الله ما سأله ، ثم إنه اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال. فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال : كنت أظن أنني خازن للمسلمين فأما إذ كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك ، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال " ..

ويُلقَى ابن عبد ربه – توفى في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 2 ص 272) بعض الضوء على القضية كما يلي :
" عن عبد الله بن سنان قال: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة وفي الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال : يا أهل الكوفة ! فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة ، قال فكتب

الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه عن بيت المال " ..

يواصل البلاذري في أنساب الأشراف (ج 6 ص 146) إعطاء التفاصيل كما يلي :

" فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال : إنه يعيبك ويطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه ، ورد في مصادر أخرى ما يلي : فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه ، فقال: إن له علي حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن ، وفي لفظ أبي عمر : إنها ستكون أمور وقتن لا أحب أن أكون أول من فتحها ، فرد الناس وخرج إليه) وشيعة أهل الكوفة ، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن ، فقالوا له : جُزيت خيراً ، فلقد علمت جاهلنا وثبت عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثم ودَّعه وانصرفوا ، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ، فلما رآه قال : ألا أنه قدمت عليكم ذؤبية سوء ، من تمش على طعامه بقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان ، ونادت عائشة : أي عثمان ، أقول هذا لصاحب رسول الله ، ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الأرض ، ويقال : بل احتمله يحوم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فشق ضلعه ، فقال علي : يا عثمان ، أتفعل هذا بصاحب رسول الله يقول الوليد بن عقبة ، فقال: ما يقول الوليد فعلت هذا ، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة ، فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال فقال علي : أحلت من زبيد على غير ثقة...وقام علي بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك ، وقال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يفسد عليك الشام؟! فلم يرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بسنتين ... ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه ، أتاه عثمان عانداً فقال : ما تشنكي؟ قال : دنوبي ، قال : فما تشتهي؟ قال : رحمة ربِّي ، قال : ألا أدعو لك طبيباً؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : أفلا أمر لك بعطائك؟ قال : منعنتيه وأنا محتاج إليه ، وتعطنيه وأنا مستغن عنه قال : يكون لولدك ، قال : رزقهم على الله ، قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمان ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان ، فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم ، فلما علم غضب وقال : سبقتوني به ، فقال له عمار بن ياسر: إنه أوصى أن لا تصلي عليه " ..

مناظرة بين الإمام الحسن ابن علي (ع) والوليد :

كان الوليد كما ذكرنا يكره الإسلام ورسوله وأهل البيت كرها خاصا ، وقد جرت مجابهة بينه وبين الإمام الحسن ابن علي (ع) وقال له الإمام الحسن ما يلي :

"وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد جلدك ثمانين في الخمر وقتل أباك بين يدي رسول الله صبيرا، وأنت الذي سماه الله الفاسق ، وسمى عليا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له: أسكت يا علي فأنا أشجع منك جنانا، وأطول منك لسانا، فقال لك علي: أسكت يا وليد فأنا مؤمن، وأنت فاسق. فأنزل الله تعالى في موافقته قوله: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون). ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا: (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:
أنزل الله والكتاب عزيز * في علي وفي الوليد قرأنا ... سبق ذكر الأبيات في هذه الحلقة " ..

يقول ابن عبد البر - توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج 3 ص 636) ، وأبو فرج الأصفهاني - توفي في عام هـ - في الأغاني (ج 4 ص 185) ، وابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 17 ص 243) أن الوليد ابن عقبة هلك في خلافة معاوية ، وكان قد نزل الرقة (مدينة في سوريا) ، واستقر بها فمات هناك... ومات أبو زبيد - نديمه النصراني - هناك فدفنا جميعا في موضع واحد ، فقال في ذلك أشجع السلمي وقد مر بقبريهما:

مررت على عظام أبي زبيد * وقد لاحت ببلقعة صلود
فكان له الوليد نديم صدق * فنادم قبره قبر الوليد
وما أدري بمن تبدوا المنايا * بحمزة أم بأشجع أم يزيد

معاوية ابن أبي سفيان

هو معاوية بن صخر بن حرب ابن أمية ابن عبد شمس ، ولد قبل الهجرة (622 م) بثمانية عشرة سنة (أي في عام 604 م) ، أي أنه كان عند فتح مكة (8 هـ / 629 م) يبلغ ثلاثة وعشرين عاما ..

معاوية ولد من سفاح:

يقول ابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 336) ، وأبو القاسم الزمخشري في ربيع الأبرار ، والقاضي النعمان في المناقب والمثالب (ج 4 ص 243) أن نسب معاوية لم يكن في حال أفضل من تلك التي كان عليها رجال بني أبة ، فيقولون ما يلي :

" كان معاوية يعزى إلى أربعة : إلى مسافر بن أبي عمرو وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصّباح مغنّ كان لعمارة بن الوليد ، قال: وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً ، وكان الصّباح عسيفاً (أجيراً) لأبي سفيان شاباً وسيماً ، فدعته هند إلى نفسها فغشيها " ..

قال الحاكم - توفي في عام 405 هـ - في المستدرک (ج 3 ص 357) ما يلي :

" إن رفاعة بن صامت قام قائماً في وسط دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فقال : إني سمعت رسول الله يقول سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تتكرون وينكرون عليكم ما تعرفون ، فلا طاعة لمن عصى الله ، فلا تعتبوا أنفسكم فوالذي نفسي بيده إن معاوية من أولئك ، فما راجعه عثمان حرفاً " ..

أورد الطبري - توفي في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (5 / 279) ، وابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (2 / 499) ، وابن الجوزي - توفي في عام 597 هـ - في دفع شبه التشبيه (تحقيق حسن السقاف ص 102) أن الحسن البصري - رضع من أم المؤمنين أم سلمة وتوفي في عام 110 هـ - قال في معاوية ما يلي :

" أربع خصال كنّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : انتزأؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة ، واستخلافه بعده ابنه - يزيد - سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير - أي العود وهي من آلات اللهو - وادعأؤه زياداً ، وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقتله حجراً - وهو أحد الصحابة العبّاد - وأصحاب حجر ، فيا ويلا له من حجر ! ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر ! " ، ويقصد البصري هنا قتل معاوية لعدي بن حجر وأصحابه " ..

وقال ابن عساکر - توفي في 571 هـ - في تاريخ دمشق (65 / 250) ، والذهبي - توفي في 748 هـ - في تاريخ الإسلام (1 / 329) ، والعلامة الألباني - توفي في 1999 م - في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4 / 329 رقم الحديث 1749) : عن أبي ذر أنه قال ما يلي :

" قال رسول الله أول ما يغير سنتي رجل من بني أمية " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : قال أبو ذر الحديث للمرة الأولى في يزيد ابن أبي سفيان عندما كان والياً بالشام وكان أبو ذر يقيم هناك ، وذلك في شأن إمرة كانت ضمن غنائم المسلمين فانتزعها يزيد ممن غنمها عنوة ، فقال أبو ذر الحديث ، ولا يعني هذا أن الحديث قد قيل في يزيد ابن أبي سفيان ، ولما سمع يزيد الحديث من أبي ذر انتابه الخوف وأعاد الجارية لمالكها ، وتشير الدلائل إلى أن معاوية (الآخر الغير شقيق ليزيد) هو المقصود بالحديث..

الملاحظة الثانية : حصر الألباني في المصدر المذكور تغيير السنة على أيدي معاوية فقط في نظام الحكم الذي حوله معاوية من الخلافة إلى الملك العضوض ، لكن الوقائع على الأرض تقول أن التغيير كان أكثر من ذلك ، فقد شرب معاوية الخمر ، وتعامل بالربا ، وادعى زيادا ولدا لأبيه ، وقتل أصحاب رسول الله ، وسوف نمر على هذه الأشياء في هذه الدراسة) ..

ذكر البخاري - توفي في عام 256 هـ - في صحيحه (ج 8 ص 194) ، وابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 150 / 151) عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال في معاوية ما يلي :

" كانت أبواب مكة لا إغلاق لها ، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية ، وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري : مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أمية بعده ، وبه قال الزهري ، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف ، وأخذ النصف لنفسه " ..

النبي (ص) يقول أن معاوية سيموت كافراً :

قال البلاذري - توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 134) حدثني إسحاق وبكر بن الهيثم قالا : حدثنا عبد الرزاق بن همام أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

" كنت عند النبي (ص) فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي قال : وكنت تركت أبي قد وضع له وضوءً ، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء قال : فطلع معاوية . فقال النبي (ص) " هو هذا " .. وحدثني عبد الله بن صالح حدثني يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس عن عبد الله بن عمرو قال " كنت جالسا عند النبي (ص) فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي قال : وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع ، فطلع معاوية " .. قال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : الحافظ الغماري هو من فحول المحدثين ، ولد في عام 1901 م بالمغرب في بيت علم ، حفظ القرآن في طفولته وحج في التاسعة من عمره ، وتوفي في عام 1960 م ..
الملاحظة الثانية : قام بعض علماء الحديث بحذف اسم معاوية من الحديث ووضعوا بدلا منه كلمة " رجل " - راجع مجمع الزوائد لنور الدين ابن أبي بكر الهيثمي ج 1 ص 143 حديث رقم 433 ..)

أحاديث لعن فيها النبي (ص) معاوية ودعي عليه :

*** الحديث الأولى :**

قال البلاذري - توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 136) عن خلف عن عبد الوارث عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى أم سلمة أن النبي (ص) كان جالسا فمرّ أبو سفيان على بغير ومعه معاوية وأخ له أحدهما يقود البعير والأخر يسوقه ، فقال رسول الله (ص) لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق ..

رجال السنن :

- 1- خلف : هو من رجال مسلم وأبو داود - قال عنه احمد بن حنبل : هو والله عندنا الثقة الأمين - وقال النسائي : بغدادية ثقة - وقال الدارقطني : كان عابدا فاضلا - وثقه ابن حبان وابن معين وأبو عمرو الداني - قال الحافظ ابن حجر : ثقة له اختيار في القراءات من العاشرة - قال الذهبي : خلف بن هشام ... الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام أبو محمد البغدادي البزاز المقرئ ..
- 2- عبد الوارث : من رجال الصحاح الستة - وثقه أبو زرعة والنسائي وأبو حاتم وابن سعد وابن حبان والساجي وابن معين وابن نمير والعجلي وغيرهم - وقال الحافظ ابن حجر : ثقة ثبت رمي بالقدر ولم يثبت عنه من الثامنة - وقال الذهبي : عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الإمام الثبت الحافظ ... المقرئ -
- 3- سعيد بن جمهان : من رجال الصحاح الأربعة - وثقه ابن معين وأبو داود واحمد بن حنبل - قال النسائي : ليس به بأس - قال ابن عدي : روى عن سفينة أحاديث لا يرونها غيره وأرجو أنه لا بأس به - قال الحافظ ابن حجر : صدوق له أفراد من الرابعة ..

(ملاحظة : قام بعض علماء الحديث بحذف اسم أبي سفيان وعائلته ووضعوا بدلا من ذلك ما يلي : " فمر رجل على بغير وبين يديه قائد وخلفه سائق ، فقال لعن الله القائد والسائق والراكب " .. راجع مجمع الزوائد لنور الدين ابن أبي بكر الهيثمي ج 1 ص 135 حديث رقم 437) ..

*** الحديث الثاني :**

روى الطبراني - توفي في عام 360 هـ - في المعجم الكبير (ج 11 ص 32) حدثنا احمد بن علي الجارودي الأصبهاني ثنا عبد الله بن سعيد الكندي ثنا عيسى بن سودة النخعي عن ليث عن طاووس عن ابن عباس (رض) قال : سمع رسول الله (ص) صوت رجلين يتغنيان وهما يقولان :
ولا يزال حوارى يلوح عظامه *** روى الحرب عنه أن يجن فيقبرا
فسأل عنهما ف قيل : معاوية وعمرو بن العاص فقال : " اللهم اركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعا " ..

(ملاحظة : الركب في اللغة كما قال ابن منظر في لسان العرب يعني رجيع الطعام ، وفي الحديث يعني إرجاعهما كما كانا كافرين قبل الإسلام) ..

*** الحديث الثالث :**

روى الطبراني في المعجم الكبير (ج 17 ص 176) ، وابن عبد البر - توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب (ج 1 ص 237) ، وابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 54) ، وابن حجر العسقلاني - توفي في عام 852 هـ - في الإصابة في تمييز الصحابة (ج 3 ص 574) ما يلي :
حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا موسى بن اسماعيل وحدثنا عبد الرحمن بن الحسين العابوري التستري ثنا عقبه بن سنان الدارع قال: ثنا غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد أبي مسلمة عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال : دخلت مسجد المدينة فاذا

الناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله و غضب رسول الله قال قلت : ماذا ؟ قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب على منبره فقام رجل فأخذ بيد ابنه فأخرجه من المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله القائد والمقود ويل لهذه الأمة ، يوما لهذه الأمة من فلان ذي الاستاه " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : كما هو واضح ، فقد حذف علماء الحديث الأسماء من الرواية للتغطية على أبي سفيان وابنه معاوية ، وهذا مخالف للأمانة العلمية ..
الملاحظة الثانية : ينفرد ابن سعد – توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 7 ص 78) بالجزء الأكبر من الحقيقة في شأن هذه الرواية ، فقد ذكر معاوية فيها ، لكنه لم يذكر النصف الثاني الخاص باللعن في الرواية والذي ذكره الآخرون ، وبين روايتهم ورواية ابن سعد يظهر الحديث بكامل محتواه ، وذلك كما يلي :
" دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. قلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية مر قبيل وأخذ بيد أبيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخرجان من المسجد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما قولاً!! " (..) ..

* الحديث الرابع :

ذكر البلاذري في أنساب الأشراف (ج 5 ص 137) عن إبراهيم بن العلاف البصري ، قال : سمعت سلاماً أبا المنذر يقول : قال عاصم بن بهدلة حدثني زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ما يلي :
" إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه " ..

رجال السند :

- 1- إبراهيم بن العلاف البصري : وثق له ابن الجوزي في غاية القراء وكذلك ابن حبان وابن حجر – قال فيه ابو زرعة: كان صاحب قرآن وكان بصيراً وكان شيخنا ثقة ..
- 2- سلام أبا المنذر : من رجال الترمذي والنسائي - قال ابن معين عنه : لا بأس به – قال ابن أبي حاتم : صدوق صالح الحديث - وقال الأجرى عن أبي داود عنه : ليس به بأس - قال ابن حجر العسقلاني عنه : صدوق
- 3- عاصم بن بهدلة هو من رجال الصحاح الستة (أي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه) ..
- 4- زر بن حبيش : هو أيضا من رجال الصحاح الستة ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : بالإضافة إلى عبد الله ابن مسعود روى الحديث أيضا أبو سعيد الخدري وجابر ابن عبد الله الأنصاري والثلاثة من كبار الصحابة ، ورجال الحديثين عندهما أيضا بجودة عالية ، على هذا النحو يعتبر متواترا عند البعض – راجع ابن تيمية في علم الحديث (ص 59) والذي يقول إن التواتر يحدث حتى من صحابي أو صحابييين كبيرين تثبت صحته ..
الملاحظة الثانية : ذكر الحديث أيضا الحسن البصري ، وهو من كبار التابعين المشهود لهم بالتقوى والفقہ ويعتبر إمام عند أصحاب الصحاح الستة ..) ..

* الحديث الخامس :

أورد الإمام مسلم – توفي في 261 هـ - في صحيحه (حديث رقم 2603) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :
" كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب - قال - فجاء فحطأني حطأة وقال " اذهب وادع لي معاوية " ، قال فجئت فقلت هو يأكل - قال - ثم قال لي " اذهب وادع لي معاوية " ، قال فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال " لا أشبع الله بطنه " ..

يقول البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف أن معاوية قال " لحقنتى دعوة رسول الله " ويشرح المؤرخ في شرحه " فكان يأكل في كل يوم سبع مرات أكلا كثيرا "

وقد ذكر ابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (8 / 119) أن معاوية كان يأكل في اليوم سبع أكالات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول : ما أشبع وإنما أعيأ ، وقد كان عظيم العناية بأطبايب الخوان ، وكان يأكل ويشرب في أية الذهب والصحاف المرصعة بالجواهر ..

(ملاحظة : يروى الوزير أبي سعيد منصور بن الحسين الأبي - توفي سنة 422 هـ - في نثر الدرر (ج 1 ص 243 / 244 – دار الكتب المصرية تحت رقم 2604) أن الأحنف بن قيس قال : دخلت على معاوية فقدم لي من الحار والبارد والخلو والحامض ما كثر تعجبي منه ، ثم قدم لونا لم أعرف ما هو ، فقلت : ما هذا ؟ فقال مصارين البط محشوة بالمخ قد قلى بدهن الفستق ، وذر عليه بالطبرزد (سفرجل سكري) ، فبكيته ، فقال : ما يبكيك ؟ قلت : ذكرت عليا ، بينما أنا عنده ، وحضر وقت الطعام وإفطاره وسألني المقام ، فجئ له بجراب مختوم ، فقلت : ما في هذا الجراب ؟ قال سويق شعير ، قلت : خفت

عليه أن يؤخذ؟ أم بخلت به؟ فقال: لا، ولا أحدهما ولكني خفت أن يلته الحسن والحسين بسمن أو زيت، فقلت: محرم هو يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يعدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يطغى الفقير فقره، فقال معاوية للأحنف: ذكرت ما لا ينكر فضله)..

الأمويون لا يلتزمون بالاتفاقيات الموقعة :

لقد انفض الناس عن الإمام علي (ع) وركنوا إلى الحياة الدنيا حتى قال الإمام: "متى يبعث أشقاها؟!"، وبعد مقتله تولى ابنه الحسن (ع) لمدة ثمانية أشهر، وانفض الناس عنه أيضا، واضطر أن يعقد اتفاقية مع معاوية لحقن دماء المسلمين وأعارضهم من بني أمية التواقين دائما على الجريمة، وقاما بالتوقيع على شروط الصلح بينهما..

قال الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 / ص 122)، وابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 / ص 405)، وكذلك السيوطي - توفي في عام 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 192) أن الإمام الحسن قد كتب شروطه للصلح في صحيفة، ولم يذكر المؤرخون كل ما كتبه الحسن عليها، إنما تعرضوا لبعض ما فيها، وكانت بالمجمل تحتوي على ثلاثة شروط وهم ما يلي:

أولا: أن تؤول الخلافة إلى الإمام الحسن بعد وفاة معاوية، أو إلى الحسين إن لم يكن الحسن على قيد الحياة..

ثانيا: أن يستلم معاوية إدارة الدولة بشرط العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين..

ثالثا: ألا يسب معاوية الإمام علي ويكفل سلامة أنصاره ولا يساء إليهم أبدا..

بعد أن وقع معاوية الاتفاقية مع الإمام الحسن (ع) في مسجد الكوفة صعد المنبر - في وجود الحسن وكل الشاهدين على الاتفاقية - وسب الإمام علي!!

قال ابن كثير - توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 131)، أبو فرج الأصفهاني - توفي في عام 356 هـ - في مقاتل الطالبين (ص 70) أن الفريقين اجتمعا في مسجد الكوفة، فسبق معاوية إلى المنبر وخطب قائلا: "أما بعد، فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها، إلا غلب باطلها حقها، إلا ما كان من هذه الأمة، فإن حقها غلب باطلها... ثم ذكر الإمام علي ونال منه، ونال كذلك من الحسن إلى قوله: ألا وإن كل شيء (عهد) أعطيته الحسن تحت قدمي هاتين، لا أفي به" ..

فأما الشرط الأول، وهو تولى الإمام الحسن الخلافة من بعده، فقد قام معاوية بتقديم رشوة مالية إلى زوجة الإمام الحسن ووعد منه بتزويجها من ابنه يزيد لو قامت بسمه، ولما فعلت قبضت الثمن المادي ورفض معاوية تزويجها من يزيد خوفا من خيانتها له..

وأما الشرط الثاني، وهو السير على سنة النبي والخلفاء من بعده، فقد ساد الدولة في عهد معاوية الفساد وترهيب الرعية، وستوقف أمام ما حدث هنا ببعض التفاصيل في الحلقتين الحالية والقادمة..

وأما الشرط الثالث، وهو عدم سب الإمام علي أو التعرض للموالين له، فقد تم انتهاكه في نفس الجلسة وبمجرد توقيع الاتفاق، فقد صعد معاوية المنبر بعد التوقيع وسب الإمام علي، ولاحقا جرى كسر هذا الشرط على المراحل التالية:

1- سب الإمام علي في خطبة كل يوم جمعة، وجعل ذلك جزء من الجمعة لا تتم إلا بها..

2- قتل من رفض سب الإمام علي..

3- قتل الأطفال الذين يولدون ويسمون باسم علي

أخذ نجم العترة النبوية في الأفول منذ هذا التاريخ، إنها بكل تجرد تعنى هزيمة بني هاشم، أصحاب المبادئ الممثلة في العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة واحترام بني الإنسان واليد الطاهرة والزهد أمام بني عبد شمس أصحاب المال، والسلطان، والقوة المسلحة، والرشوة، والاختلاس، وإثارة القلاقل، والاعتيال السياسي، والسفاح، واستعباد البشر، وتزييف الإرادة، وفرض الضرائب الباهظة، وتقريب أهل الثقة على أهل الخبرة، وتعطيل الأحكام..

(ملاحظة: طبق الأمويون تلك الأحكام بحذافيرها، وورثها العباسيون منهم، وسار عليهم بقية الحكام المسلمون، لهذا نقول بلا مبالغة أننا نعيش حتى اليوم حكما أمويا خالصا أسس له معاوية السفيناني، ويبدو أنه سيستمر على هذا النحو حتى المنازلة الأخيرة التي ستكون بين السفيناني والمهدي، عجل الله به)..

يقول المتقي الهندي - توفي في عام 975 هـ - في روح الإسلام (ص 296) ما يلي:

" ومع ارتفاع معاوية الخلافة في الشام عاد الحكم التوليغارشية الوثنية السابقة ، فاحتل موقع ديمقراطية الإسلام ، وانتعشت الوثنية بكل ما يرافقها من خلاعات ، وكأنها بعثت من جديد ، كما وجدت الرذيلة والتبذل الخلقى لنفسها متسعا في كل مكان ارتادته رايات حكم الأمويين من قادة جند الشام " ..

قال مسلم – توفى في عام 261 هـ - في صحيحه (باب فضائل على ج 5 صفحة 274) أن عامر بن سعد أنه قال ما يلي :
" أمر معاوية سعد ابن أبي وقاص فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ، فلن أسبه لا تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم :
سمعت رسول الله يقول له ، وقد خلفه في بعض مغازيه ، وهى تبوك فقال له على : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون بن موسى إلا أنه لا نبي بعدى ، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتناولنا لها ، فقال : ادعوا لي عليا فأتى به أرمم ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزل : " قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم " دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وقال : " اللهم هؤلاء أهلي " وذلك بعد أن أدار عليهم الكساء " ..

قال الجاحظ – توفى في عام 255 هـ - في الرد على الإمامية إن معاوية كان يقول في آخر خطبته : " اللهم أن أبا تراب - يعني عليا - ألد في دينك ، وصد عن سبيلك ، فالعنه لعنا وبيل ، وعذبه عذابا أليما " ..

قال ابن أبي حديد – توفى في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 356) إن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين ؟ إنك قد بلغت ما أملت فلو كفت عن هذا الرجل ، فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاك فضلا ..

روى الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 3 ص 218) أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة ابن شعبة الكوفة في جمادى سنة 41 دعاه وقال له ما يلي :
" أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي ، ولست تاركا إيصاءك بخصلة ، لا تتحم ! (أي لا تتجنب) عن شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم ، فقال المغيرة : فقد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك ، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع ، فستبلو فتحمد أو تذم ، قال: بل نحمد إن شاء الله " ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com